بوضوح

وسمية المسلم

wasmiya _ m@yahoo.com

الحروب ومآسيها

الناس من هذبتهم المعرفة بأن يحكموا العقل فيما بينهم من شجار واختلاف الرأي على قسمة الدنيا وغلة الأرض وثرواتها من أنهار عذبة وتربة خصبة ومحاصيل زراعية نقدية لا تعد ولا تحصى وثروات معدنية نقدية وغيره، ولكن قد يغلب الحسد والطمع على الكثيرين منهم.

والحرب لا تنفك مشتعلة بين الدول بالقول أو بالفعل، فعندما يزول الحسد والطمع والحقد تزول العداوة، وعندما تزول العداوة والمكر والغيرة تنتهي الحروب الرعناء والعنيفة، ويتم الحفاظ على الأرزاق التي لا تأتي إلا بسعي الإنسان والعمل الجاد والمضني والكفاح والكد بكل جد وإخلاص.

وفي ظلال الأمن يكون الإنتاج المعمر والاستهلاك المرفه لا يكاد أحد يرى بينهم عينا تحسد ولا قلبا يحقد ولا يدا تجرح، والحروب وسعيرها وطغيانها قائمة على الضلالة والعصبية والأثرة والغرور والنزوات والعناد.

وهذا طريق الفشل والقضاء عليهم، ومن مزايا عصرنا الحاضر عصر السرعة وعصر الآلة، وطبيعة الآلة سرعة الحركة فمن تخلف عن قافلة الحياة افترسه الجوع وتخطفه العدم، والمجتمعات القائمة على الهدى والحق والخير والثبات على المبدأ وقيادة الربان الماهر وحكمة القائد البصير وهذا طريق النجاح.

إن آلة الحروب مدمرة لأمم العالم ولحضارات ساهم الأسلاف في وضع أحجارها الأولى، تلك الآلة التي تحطم روائع الإنسان وقد يرجع بسببها إلى عهود الجاهلية، فهناك شعوب متقدمة كانت آية في النبوغ بالعلم والأدب والفلسفة والفن لكن سعير الحرب حولتهم جحيما شلت تفكيرهم وإرادتهم.

الحرب تستعر باللظى والنار وقد تفجع العالم الآمن بأهوال الشر والجحيم بالآلاف من صور الدمار، ومع السرعة الخاطفة عبقرية هذا العصر ومزيته من الطائرات والدبابات والذكاء الصناعي والرقمي ظهرت الأحقاد وزاد تنافس المطامع.

والحروب لا تعتمد على فضائل النفس ولا على خصائص الروح، والذين أوقدوا هذه الحرب حلوا أنفسهم من روابط الدين والخلق والقانون والعرف والشرف والوفاء بالعهود، وآفة الحرب أنها كالسيل يجرف تياره الأخضر واليابس ويغرق طغيانه العامر والقامر ويحل الدمار المسلط على شؤون الفكر والروح.

والحرب الغشوم ضياع لما ورثته المدنية من حر الحلال وكريم الأخلاق وميراث الإنسانية من أخلاق وثقافة ونظم، والسير بطرق السلامة وترسيخ الوطنية بالتمسك بالأرض أن تميد فتبيد.

وهناك أبطال يعملون على الدفاع عن هذا الوطن وما فيه من التراث، وهناك عيون ترعاه بكل إخلاص ونقول للصفوف الأمامية كنتم الجنود البواسل وبرهنتم على شجاعتكم وقوة المخاطرة في سبيل حماية أرض الوطن، ووهبتم أنفسكم بالتضحية بين الحياة والموت بإيمانكم وعزيمتكم من أجل وطنكم إما شهداء مجد في الآخرة أو أبطال فخر في الدنيا بوطنيتكم الظاهرة.

والعدو مثل النار إن تداركنا أولها سهل إطفاؤها، وما يتمتع به رجال الأمن والجيش من الشجاعة والبسالة والنجدة والجراءة ثبتوا بقوة القلب رابطين الجأش، وكلنا نعلم أن الحروب خدعة والحذر زمام الشجاعة والتهور عدو الشدة.

بلادي الكويت الناهضة بتقدمها فهي العلو العالي بعلمها الخفاق يرفرف في أعنان السماء.

دمت سالمة يا كويتنا الغالية حرة أبية.

للسطور عنوان

التفكر وبصائر المعرفة

شيخة عيسى

@sheikha_alasfoor

s4sh77@hotmail.com

يشغل التفكر أهمية كبيرة في السرد القرآني، إذ يشكل إحدى أهم الأدوات التي تعمق فهم الإنسان لذاته ووجوده، أي أن التفكر أداة الوعي والإدراك عند الإنسان. فقد تكررت دعوة القرآن الكريم للتفكر 18 مرة في مواضع تتعلق بالنفس والكون والتاريخ والآيات الكونية والإنسانية، في قوله تعالى: (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). وقد تكررت الآية الكريمة في مواضع كثيرة من السور، وهذه الدعوة تعد منهجا متكاملا يدفع العقل إلى اكتشاف القوانين التي سنها الله في الكون، وأهم سلوك يتبع هو إسقاط تلك القوانين على الحياة الاجتماعية والبناء النفسي وصناعة المعرفة التي تعد أساس انطلاق الإنسان نحو التنمية والتقدم.

واليوم، يؤكد العلم الحديث ما أشار إليه القرآن قبل 1400 عام، إذ إن التفكر العميق أو ما يعرف في علم الأعصاب بـ«التأمل الواعي» (Mindfulness) يثبت قدرته على إعادة تشكيل الدماغ عبر تعزيز المناطق المسؤولة عن التركيز والاتزان الانفعالي. وقد أثبتت الدراسات أن ممارسة التفكر المنتظم تخفض مستويات التوتر، وترفع كفاءة اتخاذ القرار، وتزيد من مستويات السعادة عبر تحفيز هرمونات الهدوء والاتزان الداخلي. ومن عجائب خلق الله أن التفكر يعزز الخلايا العصبية المسؤولة عن بناء الوعي ومعالجة المعلومات واتخاذ القرارات والتكوين العاطفي المتزن وبناء الذاكرة.. كيف؟

تكشف الأبحاث الحديثة في علم الأعصاب أن القشرة الدماغية البشرية، وهي المنطقة المسؤولة عن التفكير الواعي واتخاذ القرار والإدراك، تضم جزءا كبيرا من مجموع الخلايا العصبية البالغ نحو 86 مليارا في الدماغ، وهي المنطقة الأكثر كثافة بالخلايا المرتبطة بالعمليات المعرفية العليا. ويقدر ما فيها بعشرات المليارات من العصبونات، تقارب 18 مليار عصبونة وفق تقديرات منشورة حول توزيع العصبونات داخل القشرة الدماغية عند البالغين.

وعليه، فإن تلاقي الرقمين 18 (تفكر) و18 مليار (عصبونات القشرة في الدماغ) ليس علاقة عددية وحسب، بل هو رمز يحمل إعجازا علميا في أهمية تحريك العقل، وتفعيل البصيرة، والارتقاء بالوعي الإنساني.

وفي الختام، أحب أن أشير إلى أن عملية التفكر ليست ترفا فكريا، بل قوة تنعكس على حياة الإنسان سلوكا وطمأنينة ونضجا، وعليه تتوسع دائرة البصيرة لإنتاج المعارف التي ترتقي بها المجتمعات. وهو سر يكمن وراء نجاح أهم المؤسسات التربوية التي تلعب دورا كبيرا في صناعة الإنسان اليوم، ألا وهي الأسرة والمدرسة والتعليم العالي والإعلام، والتي تنعكس على الاحتياجات المجتمعية من قوانين واقتصاد وإنتاج معرفة وصناعات.. إلخ من الاحتياجات التي تكمن في أساس معايير المجتمع المتطور والمستدام.

كلمات لا تنسى

مشعل السعيد

جيرة السوء

الجيرة اسم مشتق من الجار، ولها عدة معان، منها المجاورة في السكن، وينعكس ذلك على الدول أيضا، فكل دولة لها جارة على حدودها.

أما جيرة السوء فلا نتمناها لا لصديق ولا لعدو، فهي ابتلاء عظيم، ونحن في الكويت ابتلينا بجيرة إيران فبدلاً من أن تحفظ جيرتنا وتعرف حق الجار على الجار ها هي وكما يشاهد العالم تضربنا بمئات الصواريخ والطائرات المسيرة دون أن تفرق بين أعيان مدنية وأعيان عسكرية، وكأن تراب الكويت كله بات هدفا مشروعا لها، حتى مطار الكويت الدولي لم يسلم منهم ولا منازل الناس، ولا الناس أنفسهم.

الكويت الآمنة المسالمة التي لم تدخل في صراع مع أحد تضرب ليل نهار بإصرار وتعمد، إن هذه الدولة الخارجة على القانون تريد زعزعة استقرارنا وتعكير صفونا لا لشيء إلا بسبب الحسد على النعمة التي حبانا الله بها، والأمن الذي ننعم به وعلى تماسكنا، أوليس المولى عز وجل يقول في سورة النور (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فكم حاولت هذه الدولة تخريب ما بناه أجدادنا لنا بخلايا جندتها ومولتها ودفعت بها لزعزعة أمننا ولتصدير ثورتها إلى الكويت ودول الخليج.

وفي الماضي كانت أسواقنا ومتاجرنا تعج بأبناء الجالية الإيرانية يعيشون بيننا بأمن وأمان ونعاملهم بكل احترام وإنسانية، وهنا لا اقصد الشعب الإيراني الطيب ولكن من يدير إيران، ظنا منهم أننا ضعفاء ولا نستطيع الدفاع عن أنفسنا، ولكنهم رأوا والعالم كله كم نحن أقوياء بالله أولا وبأبناء الكويت الأبطال الذين ضربوا أروع الأمثلة في التفاني والتضحية في سبيل الدفاع عن الكويت وأهلها، فنحن لانفرط في تراب الكويت بل نعتبره مسك أذفر نموت دونه، ونرخص أعمارنا له.

لقد عم شر هذه الدولة المارقة معظم دول العالم، فهي تنتهك حقوق الإنسان وتتدخل في شؤون الدول عبر ميليشياتها ولا تلتزم بالقانون الدولي وتهدد الأمن القومي للدول، وتريد أن تتوسع إقليميا على حساب جيرانها، وتستنزف ثرواتها الهائلة من أجل أهداف خبيثة، ولا أبالغ إذا قلت أن إيران تعتبر استقرار الدول العربية وخاصة الخليجية تهديدا لأمنها القومي وحجر عثرة أما توسعها الإقليمي، عجبا لهذا النظام المارق تضربه أميركا وإسرائيل ويضربنا نحن وليس له شبه إلا قول عمران بن حطان:

أسد علي وفي الحروب نعامة
ربداء تجفل من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى
أم كان قلبك في جناحي طائر

فاللهم يا من إذا دعيت أجبت، اشغلهم بأنفسهم، ورد كيدهم في نحورهم، واجعل تدبيرهم تدميرا عليهم، اللهم واحفظ الكويت وأهلها ومن فيها من كل شر.

ودمتم سالمين.

عماريات

د.ناصر أحمد العمار

عقوبة مضاعفة!

يقول: عملت في مؤسسات اجتماعية كثيرة، وتعاملت مع العديد من النزلاء، منهم من فئة (ذوي الاحتياجات الخاصة ـ معاقين ـ مسنين، أحداث، أبناء مجهولي الوالدين ونزلاء من فئة التخلف العقلي) واكتسبت العديد من الخبرات المهنية، وبلغت مراحل متقدمة في إتقان مهارات التعامل مع مثل هذه الفئات، إلا أن العمل مع فئة الأحداث المنحرفين كان مختلفاً.

يكمل: أحد أهم جوانب هذا الاختلاف، أن تلعب دور الأب البديل أو دور الأخ المصطنع لهذا النزيل أو ذاك. بالإضافة للدور المهني الرئيس وهو اختصاصي اجتماعي.

ثم يستطرد: دخلت يوماً إحدى الدور التي تأوي الأبناء المحكومين لتفقد العمل كعادتي، وإذ بأحد النزلاء يجلس وحيداً في إحدى زوايا المكان تاركاً زملاءه ـ كعادتهم ـ يسمرون، منهم من يلعب (البلياردو) وآخرون (تنس الطاولة)، وهناك مجموعة أخرى اعتادت التجمع في ديوانية الدار لتبادل الأحاديث، ألقيت عليهم التحية وردوا علي بأحسن منها ممتزجة بعبارات «الغشمرة» المعتادة بيني وبينهم متجاهلاً ـ عمداً ـ ذلك النزيل المنزوي جانباً في أحد أركان الدار، لم أخف في نفسي تلهفي لمعرفة أسباب عزلته الطارئة.

ويضيف: بداية لم أجد منه أي رد فعل عند دخولي عليهم، ظل مطأطئ الرأس، حزيناً، شاحب الوجه، تعباً، اعتاد النزلاء من خلال هذا الموقف المشابه لموقف هذا النزيل أن يرسلوا لنا برسائل غير لفظية منها (ليش ما تسألني.. شفيك؟).

استمررت بتجاهله بقصد أن يبادر هو في دعوتي لخدمته، لكن يبدو أن كبرياءه حال دون ذلك، حاولت حينها أن أستشف من زملائه سبب عزلته لكن لم أوفق!

ختم حديثه قائلاً: «ما أبي أطول عليك» في نهاية زيارتي لهذه الدار أجبرني دوري الوظيفي على التقرب منه والسؤال عن سبب هذه العزلة، فلم يبد أي تجاوب معي كعادة أمثاله ممن تصدمهم ظروف قاسية مفاجئة تعمق آلامهم وتزيد من حزنهم.

وبحكم طبيعة عملي وخبرتي نجحت في دعوته للجلسة الأولى بدعوته لمكتبي وإجراء ما يسمى بالتنفيس الوجداني القائم على مهارات مهنية فنية فائقة الدقة ليتبين حينها أن سبب عزلته وحزنه هو تلقيه خبر وفاة أخيه في حادث سيارة، أخطره به أحد العاملين في الدار بحكم جيرته لمنزل والده.

وما زاد من ألمه عدم التمكن من المشاركة في تشييع جثمان أخيه مع بقية أفراد الأسرة، وتقديم التعازي لوالديه. وهنا تضاعفت جهود عملي المهني فاحتل البعد الإنساني الصدارة ليفرض علي القيام بدور الأب والأخ والأسرة البديلة لمشاركته آلامه وأحزانه، وأدركت حينها أن عقوبته قد تضاعفت حزناً وألماً بفقد أخيه وحرمانه من مشاركة أسرته مصابها الجلل.

وتبقى المشاعر الإنسانية هي الأسمى دوماً.

وقفة

د.غنيمة محمد العثمان الحيدر

«السكينة بقلب أهل الوطن»

ما السكينة وماذا تعني؟

تتعدد المفاهيم حول كلمة «السكينة» وما أجمل كتاب الله تعالى حين نتمتع بمحتواه الرائع في كل جوانب الحياة.

كلمة السكينة جاءت من سكن الإنسان بمعنى هدأت جوارحه واطمأن قلبه وهدأت جوارحه.

نعم، السكينة هي الاطمئنان والأمان، فالزواج سكن للمرأة والرجل كل منهما يأمن للآخر، قال الله تعالى فيها: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

الحياة مليئة بالمنغصات ولكن علينا ان نهمس بداخلنا الهدوء والرضا والسعادة وتقبل كل الامور الصعبة بالتحمل والرضا.

نعم، السكينة دائما تعمل بقلوب المؤمنين المطمئنين بكل أقدارهم التي كتبتها لهم الحياة بأمر الله.

في هذه الحياة نحن كبشر معرضون للكثير من الابتلاء ووسوسة الشيطان وأعوانه، كما ان الزمن لا يتوقف والحياة تسير ويجب علينا ان نرضى ونطمئن وأن نسعد بالقبول والرضا. وأن ننعم بالطمأنينة والسعادة لأن كتاب الله يخبرنا بأن السكينة قوة داخلية في قلب المؤمن المسلم يرضى بكل ما قدّره له الله في مسيرة حياته.

اجلس بهدوء وتذكر لحظات الألم النفسي لما أصاب وطني الغالي الحبيب وبعثر الأفكار في قلوب المواطنين من جار غدار لم يتعظ بشهر رمضان وجعل السكينة تفرّ من قلوب بعض المواطنين ومن الذين سكنوا معنا من كل دول العالم وهم ينعمون بالأمن والأمان والرزق الوفير بما لم يحصلوا عليه في أوطانهم وهذا من فضل الله عليهم.

نعم اسجد لله بدل خمس مرات بكل صلاة أسجد خمسين صلاة شكر فلقد لازمتني السكينة بأن بلدي محفوظ بحفظ الرحمن الرحيم لما يقدمه من خير وعطاء احتوى العالم بأسره، والله لا يضيّع كل عمل أمرنا الله به.

هنا تسكن السكينة بقلبي وبقلوب أهل وطني بما وفرته لنا حكومتنا الرشيدة من كل ما نحتاج إليه.

وأعود لأذكّر أحبتي قراء جريدة «الأنباء» بأن حياتنا وأقدارنا كتبت علينا قبل ان نخلق، ولكن الدعاء والرجاء وكثير من الامور الجميلة التي ذكرها القرآن الكريم تغيّر الأقدار الى الاحسن والافضل.

اكرر كلماتي بأن في السكينة توجد لذة الإيمان وحلاوة في القلب. ولله الحمد نحن شعب مسلم فمن هداه الله شرح الله صدره، والشرح هنا الاتساع والفسحة التي من نتائجها ان ننعم بالهدوء والسكينة والطمأنينة والسعادة، وهذا متحقق في اهل وطني أهل الإيمان والإسلام والطاعات والبعد عن المعاصي، ودائماً يكون زاد السكينة في الطاعة التي تمثل قمة السعادة في حياتنا الجميلة بهذا الوطن الأجمل بكل المواصفات. احبتي اهل وطني الغالين تذكروا دائما قول الله تعالى في كتابه العزيز (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) فلقد نصرنا الله في 9/8/2 وسيكون النصر دائماً حين ينزل الله السكينة في قلوب اهل وطني الغالين.

عندما ينزل الله على قلوب المؤمنين السكينة تطمئن القلوب لأن الله معنا بكل الجوارح.

حفظ الله وطني وقيادته الحكيمة ومن يحب الوطن.

فأكثروا من الدعاء لوطني الحبيب في كل الظروف التي يمر بها هذا البلد الطيب وأهلّه المحبين للسلام في بلد الأمن والأمان وطني الكويت حفظك الله من كلّ مكروه.

المجهر

بدر محمد العلوش

Baderal3loosh36@gmail.com

من شاشة الجوال إلى قاعة المحكمة!

من شاشة الجوال إلى قاعة المحكمة، كيف غيرت وسائل التواصل الاجتماعي شكل النزاعات في المجتمع؟

لم تعد وسائل التواصل الاجتماعي مجرد مساحة للتواصل، بل أصبحت جزءا أساسيا من حياتنا اليومية، تبنى عبرها العلاقات وتتشكل الآراء، وقد تبدأ منها أيضا النزاعات.

ومع هذا التحول، انتقلت كثير من الخلافات من العالم الرقمي إلى أروقة المحاكم، حيث تبدأ بعض القضايا بمنشور أو تعليق أو رسالة أو مقطع فيديو وغير ذلك.

ورغم أن هذه المنصات منحت الجميع مساحة واسعة للتعبير، إلا أنها فرضت في المقابل مسؤولية قانونية وأخلاقية. فالكلمات المنشورة قد تصل إلى آلاف الأشخاص وتبقى قابلة للتداول والاسترجاع.

وتؤكد القضايا المرتبطة بوسائل التواصل أن المشكلة ليست في التقنية نفسها، بل في طريقة استخدامها. فكثيرون يظنون أن ما ينشر عبر الإنترنت يكون بعيدا عن المساءلة، بينما القانون ينظر إلى الأثر والمسؤولية بغض النظر عن الوسيلة.

كما أن إعادة نشر المحتوى أو حتى الرسائل الخاصة قد تكون سببا في نزاعات قانونية إذا ترتب عليها ضرر أو مخالفة. وإذا كانت هذه المنصات تعزز حرية التعبير، فإن سرعة انتشار المحتوى تجعل آثار بعض المنشورات القانونية والاجتماعية والمهنية طويلة الأمد.

لذلك، يحتاج المجتمع إلى وعي قانوني رقمي يوازن بين حرية التعبير والمسؤولية، فالكثير من القضايا كان يمكن تجنبها بالتفكير قبل النشر.

وفي العصر الرقمي، تبدأ المسؤولية منذ الضغط على زر النشر، لا عند الوقوف أمام القاضي.

وقبل أن تكتب أو تنشر أي محتوى، اسأل نفسك: هل سأكون قادرا على الدفاع عن هذه الكلمات إذا عرضت يوما أمام القضاء؟ فقد يكون هذا السؤال هو الفارق بين منشور عابر وقضية كاملة تبدأ من شاشة الهاتف.

نغم وسط النشاز

يوسف فيصل العتيبي

@Y _ ALotaibii

Yousif.ALotaibi@hotmail.com

لماذا ينتقص بعض الناس من الآخرين؟

كنت مع أحد الأشخاص ذات مرة وأنا أرتدي نظارة، فقال لي: «نظارتك ليست جميلة على وجهك». لم أبد لرأيه اهتماما، لأنني كنت مقتنعا بأنها جميلة ومناسبة لي.

وبعد فترة من الزمن، ربما نسي ما قاله، أو شاء الله أن يعلمني درسا من خلال هذا الموقف، فقال لي الشخص نفسه: «نظارتك جميلة».

حينها وقفت متسائلا: لماذا قال في المرة الأولى إنها ليست جميلة، ثم عاد بعد فترة ليقول إنها جميلة؟ مع أن كثيرا ممن حولي كانوا يرون أنها مناسبة وجميلة منذ البداية.

وليس المقصود من هذا المقال أن النظارة جميلة أم لا، وإنما الحديث عن بعض الناس الذين اعتادوا استنقاص الآخرين والتقليل من شأنهم.

ففي حياتنا اليومية نصادف أشخاصا لا يترددون في إطلاق الكلمات المحبطة أو التقليل من إنجازات غيرهم، وقد لا يعلمون أن كلمة واحدة قد تترك أثرا في النفس يستمر طويلا.

ومن الأمثلة على ذلك أن شخصا تخرج في جامعة معينة، فيقول لطالب يدرس في جامعة أخرى: «جامعتك ليست ذات تصنيف عال».

وما الفائدة التي سيجنيها هذا الطالب من مثل هذا الكلام؟ أليس يكفي أنه يجتهد ويسعى لطلب العلم في جامعة معتمدة؟

في كثير من الأحيان لا يكون الهدف من هذه العبارات تقديم نصيحة أو توجيه نقد بناء، بل إيصال رسالة غير مباشرة مفادها: «أنا أفضل منك».

والحقيقة أن الإنسان الواثق من نفسه لا يحتاج إلى التقليل من الآخرين ليشعر بقيمته، لأن قيمته الحقيقية تنبع من أخلاقه وأعماله وإنجازاته، لا من محاولاته التقليل من نجاح غيره.

أما من يعتاد الانتقاص من الناس، فإنه يعيش في صراع داخلي مستمر، فلا يفرحه نجاح الآخرين، ولا يسعده أن يراهم يتقدمون أو يحققون ما يتمنون، فيبقى أسير المقارنات السلبية التي لا تنتهي.

وأمثال هؤلاء المحبطين لا يدركون أن التقليل من الآخرين لا يرفع من شأنهم، بل يكشف ما في نفوسهم من ضيق وانشغال بالناس أكثر من انشغالهم بتطوير أنفسهم؛ فكلما نقى الإنسان قلبه من الحسد وسوء الظن، وفرح للناس بخيرهم، زاده الله راحة وتوفيقا ومحبة بين الناس.

وكم من شخص فقد ثقته بنفسه بسبب كلمة مستهزئة، وكم من شخص تغير يومه بأكمله بسبب كلمة طيبة صادقة.

لذلك لا تنتقصوا من الآخرين، ولا تكونوا سببا في إحباطهم أو كسر خواطرهم، بل تمنوا لهم الخير وشجعوهم وادعموهم.

فمن أحب الخير للناس رزقه الله من فضله، ومن زرع الكلمة الطيبة حصد المحبة والاحترام.

فالكلمة الطيبة صدقة، وإدخال السرور على قلوب الناس من أجمل الأخلاق وأعظمها أثرا، وما أجمل أن يكون الإنسان سببا في رفع معنويات الآخرين لا سببا في كسرها.

شذرات فكر

حمد حسن التميمي

Instagram: @hamadaltamimiii

1952.. سراج عائشة بنت حمد العطية

ذات ليلة شتوية، رأت الشيخة عائشة بنت حمد العطية، رحمها الله، في منامها أنها خرجت من بيت الشعر الذي كانت تقيم فيه، وبرفقتها جاريتها، وفي يدها سراج، أو «فنر» كما نسميه في لهجتنا الخليجية.

وما إن فتحته في ظلمة الليل حتى وجدت نفسها أمام روضة خضراء واسعة، قالت إنها من أجمل الروضات التي رأتها في حياتها. وحين أفاقت، روت الحلم لجاريتها وسألتها عن تفسيره، فقالت لها: «يا سيدتي، إنك تحملين في أحشائك طفلا سيكون له مستقبل كبير في هذا البلد».

وفي الأسبوع الأول من عام 1952، رزقت عائشة بطفلها الأول والوحيد، فسماه والده «حمد». وبعد ثلاثة أيام رحلت الأم، ليبدأ الطفل حياته في كنف جدته، حاملا فقدا مبكرا، وحكاية سراج لم يكن أحد يعرف يومها إلى أي أفق سيمتد ضوؤه. كبر ذلك الطفل ليصبح الأمير السابع لدولة قطر، صاحب السمو الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، رحمه الله، باني نهضة هذا الوطن العزيز.

روى هذه الحكاية أمام الحضور السيد سعد بن محمد الرميحي، رئيس مجلس إدارة المركز القطري للصحافة، خلال حفل «شخصيات معاصرة» في نسخته الثانية. ولم تكن رواية عابرة، فقد جاءت ممن عمل خمسة عشر عاما سكرتيرا لسمو الأمير الوالد لشؤون المتابعة.

غير أن ما بقي عالقا في ذهني لم يكن التفسير وحده، بل الصورة نفسها. فالسراج في الرؤيا لم يفتح باب قصر، ولم يكشف عرشا، بل أضاء روضة. ولعل هنا يكمن المعنى الذي لم ينتبه إليه كثيرون: أن شأن ذلك الطفل لم يكن في الكرسي الذي سيبلغه يوما، بل في الأرض التي ستزهر في عهده.

الرؤى وحدها لا تبني الدول، والأحلام لا تكتب الدساتير، ولا تستخرج الغاز، ولا تفتح الجامعات. لكن بعض الصور لا تفصح عن معناها إلا بعد أن يمضي التاريخ بعيدا. وحين تولى الأمير الوالد مقاليد الحكم في يونيو 1995، لم تكن قطر في حاجة إلى من يرى ما تحت أرضها فقط، بل إلى من يتخيل ما يمكن أن تصبح عليه فوقها. كانت الثروة موجودة، لكن تحويلها إلى قرار مستقل، وتعليم، ومؤسسات، وكرامة اجتماعية، وحضور سياسي لا يقاس بحجم الخريطة، كان الامتحان الحقيقي.

وكثيرا ما تختصر قراءة تلك المرحلة في الأبراج والغاز والأرقام. وهذه كلها حقائق، لكنها ليست الحقيقة كاملة. فالنهضة الأعمق حدثت حين تغير شعور المواطن بدولته، وحين أصبحت الثروة وسيلة لرفع الإنسان، لا واجهة لاستعراض الغنى، وحين اتسعت مساحة التعليم، وتقدمت الرعاية الاجتماعية، وصار للدولة دستور دائم ومؤسسات تحملها إلى ما بعد الأشخاص. هنا لم تعد قطر مجرد بلد يملك موردا ضخما، أصبحت دولة تعرف ماذا تريد، وتملك الجرأة على أن تقول ذلك بصوتها.

لكن القائد لا يختبر فقط في قدرته على صنع مرحلة، بل في قدرته على ألا يحبس الدولة داخلها، وهو ما فعله يوم 25 يونيو 2013، حين سلم مقاليد الحكم إلى نجله صاحب السمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى، في خطوة وصفها سمو الأمير في خطاب توليه الحكم بأنها «فريدة، بل غير مسبوقة»، إذ غادر سدة الحكم طوعا وهو في تمام صحته وحضوره، والدولة في ذروة صعودها.

ولم يكن القرار عابرا، بل رؤية سبقتها بسنوات. ففي حديث لصحيفة «فايننشال تايمز» عام 2010، أشار الأمير الوالد، رحمه الله، إلى أن معظم ملفات الدولة باتت في يد ولي عهده، وأن نجله كان يعمل في الظل وبهدوء. كان يرى ما لم يره كثيرون: أن الدولة التي تقوم على رجل واحد تبقى رهينة عمره، وأن أخطر ما يواجه مشروعا ناجحا أن يبقى أسير من أطلقه. لذلك لم يكن السؤال متى يترك الحكم، بل متى يصبح انتقاله ضمانا لاستمرار الدولة؟ لم يكن ذلك انسحابا من التاريخ، بل تأكيد على أن ما بني لم يكن ملكا لبانيه، وإنما وطنا قادرا على دخول زمن جديد. وقد أثبتت السنوات التالية أن ما أسسه الأمير الوالد وجد قيادة تبني عليه برؤيتها الخاصة وقراراتها المستقلة.

اليوم ونحن نودع الأمير الوالد، لا تستعيد قطر سيرة أمير قادها فحسب، بل تستعيد اللحظة التي بدأت فيها ترى نفسها بصورة مختلفة، ويعود معها وجدان الوطن إلى أم لم تر ابنها يكبر، ولم تعش لترى الروضة التي رأتها في منامها تغدو وطنا يزهر على يديه.

إنه الرجل الذي جعل الطموح جزءا من هوية البلد، ثم عرف متى يسلم الراية كي تستمر الدولة، ولا يتوقف مستقبلها عند اسم واحد مهما كان كبيرا.

قيل لعائشة بنت حمد العطية إن طفلها سيكون له مستقبل كبير في هذا البلد. وبعد أكثر من سبعة عقود، يبدو أن العبارة كانت أضيق من الرؤيا نفسها، فلم يكن للطفل مستقبل كبير في قطر فحسب، بل كان لقطر معه مستقبل أكبر. وربما لهذا لم ير في المنام عرشاً ينتظره، بل روضة تنتظر أن تزهر.